قراءة في كتاب تطور تعليم اللغات 5000 سنة من التاريخ لـ كلود جرمان [Claude Germain]

د. جميلة غريّب، جامعة باجي مختار-عنابة- الجزائر.

ملخّـــــص

تعدّ هذه الدّراسة قراءة في كتاب: تطوّر تعليم اللّغات: 5000 سنة من التّاريخ، للكندي كلود جرمان وترجمة لأفكاره الأصوليّة إلى اللّغة العربيّة. ونروم من خلال الدّراسة وضع القارئ العربيّ في بوتقة تاريخيّة مرتبطة بتعليم اللّغات، وأهمّ التّوجّهات الفكريّة، والتّيّارات اللّسانيّة، والطّرائق والمقاربات التّعليميّة، وموقع اللّغة العربيّة من الخارطة التّاريخيّة لتعليم اللّغات كما يصوّرها صاحب الكتاب.

الكلمات المفتاحية: ترجمة - تعليميّـــــــة – لغة حيّة- لغة ميّتة - تعليم اللّغات – مقاربة – طريقة – لسانيّات تطبيقيّة - تاريخ – حضارة

Abstract

This study is a reading of the book The development of language education : 5000 Years of History by Claude Germain and the translation of his fundamentalist ideas into Arabic. The aim of the study is to put the Arab reader in a historical crucible of 5000 years of history to teach languages, the most important intellectual orientations, linguistic trends, methods and didactic approaches, and the location of the Arabic language from the historical map of language teaching as illustrated by the author.

Keywords: Translation -Didactics - Living Language - Dead Language - Language Teaching - Approach - Method - Applied Linguistics - History – Civilization.

أولا: مقدمة:

شهدت تعليميّة اللّغات تطوّرا هائلا في العقدين الأخيرين، ورغم أهميّة هذا العلم إلا أنّه لم ينل حضّه من التّأليف العربيّ كمّا وكيفا، وبالمقابل يواجهنا تراث علميّ ضخم مكتوب، ومنشور باللغتين الفرنسيّة والانكليزيّة.

وبناء عليه؛ ونظرا لأهميّة الموضوع، ودور التّرجمة في نقل المعارف والعلوم والخبرات بين الأمم كان لزاما علينا المشاركة في هذا الحراك المعرفي، لنقل شيء ممّا كتب في هذا الميدان إلى اللّغة العربيّة ذلك أنّ التّرجمة تساهم بصورة غير مباشرة في تطوير اللّسان العربيّ.

وقد وقع الاختيار على كتاب تطوّر تعليم اللغات 5000 سنة من التاريخ لمؤلفه Claude Germain*، وتعود أهميّة هذا الكتاب و الحاجة الملحّة لترجمة أفكاره الأصوليّة إلى اللّغة العربيّة للأسباب التّالية:

- قلّة المراجع العربيّة في اللّسانيّات التّطبيقيّة –بشكل عام- و في مجال تطوّر تعليم اللّغات –بشكل خاصّ-

- يعالج هذا الكتاب موضوع تطوّر تعليم اللغات بطريقة شموليّة؛ حيث يستعرض جميع المراحل الأساسيّة التي يتضمّنها تعليم اللغات بدءا بتحليل الحاجات وانتهاء بتقويم البرنامج اللغوي، كما يعكس الكتاب آخر ما تمّ التوصّل إليه من طرائق، ومقاربات في مجال تعليم اللغات الأجنبيّة.

- مؤلف الكاتب Claude Germain أستاذ كرسي بقسم اللسانيّات، وتعليميّة اللغات بجامعة Québec بـ Montréal، كرّس الأربعين سنة الأخيرة من عمره في خدمة تعليميّة اللغات، وذلك بمشاركته في العديد من الفرق البحثيّة، والتّنظيمات الحكوميّة لتعليم اللّغات بكندا، كما شارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات الدّوليّة التي نال من خلالها استحسان الجميع، ويعدّ هذا الكتاب دليل واضح على اجتهاد الكاتب وجهده في خدمة تعليميّة اللغات، من خلال المسح التّاريخي الذي قام به لـ 5000 سنة من التّاريخ.

ونروم من الدّراسة؛ وضع القارئ في بوتقة تاريخيّة واسعة (5000 سنة من التاريخ)؛ يبصر من خلالها فكرا غربيّا يتحدّث لنا عن تاريخ تعليميّة اللغات، وأهمّ التّوجّهات الفكريّة، والتّيارات اللسانيّة والطّرائق، والمقاربات التّعليميّة، وفوق كل هذا وذاك؛ موقع اللّغة العربيّة من الخارطة التّاريخيّة لتعليم اللغات، كما يراها صاحب الكتاب.

وانطلاقا من الكتاب؛ يقسّم تعليم اللغات عبر الحقب التّاريخيّة إلى خمس

مراحل:

ثانيا، مراحل تعليم اللغات:

المرحلة الأولى: منذ 5000 سنة، بسومر؛ أول تعليـــــــــــــــم للغة حيّة.
المرحلة الثّانية: مصر والإغريق؛ تعليم اللغات الميّتة 3000 ق.م – 2100 ق.م.
المرحلة الثالثة: من الرومانية القديمة إلى التّجدّد، تعليـــــم اللغات الحيّة.
المرحلة الرّابعة: من ق16م – ق 19م؛ اللاتينيّة من لغة ميتـة إلى لغات حيّة .
المرحلة الخامسة: القرن العشـــــــــــــــــرون؛ الحقبة العلميّة.

1 - المرحلة الأولى: منذ 5000 سنة بسومر؛ أوّل تعليم للغة حيّة:

وهي مرحلة متميّزة لا بأقدميّتها بل بطبيعتها؛ حيث اعتمد فيها أوّل تعليم مدرسي منظّم للغة ثانية وهو تعليم اللغة السّومريّة للأكاديّين. والسّومريّة أوّل حضارة اشتهرت بالعالم منذ 5000 سنة –تقريبا-

• عرفت كتابتهم بالكتابة المسماريّة؛ لأنّها على شكل مسامير، أو زوايا حادّة ترسم على اللوح الطّيني، وتعدّ بـ: ستمائة (600) رمز، كما ظهر أوّل معجم ثنائي اللغة على شكل قائمة من الكلمات.

• أمّا سبب تعلّم الأكاديّين للغة السّومريّة؛ فهو ناجم عن تخوّف الأكاديّين من غياب اللغة السّومريّة، على اعتبار أنّها اللغة المقدّسة لديهم، وهذا بالفترة الممتدّة بين (3000 ق.م – 2350 ق.م)

2 - المرحلة الثانية: مصر والإغريق، تعليم اللغات الميتة 3000 ق.م – 2100 ق.م:

2 - 1: مرحلة الحضارة المصريّة: عُرفت بثلاث أشكال من الكتابة، أولها:

2 - 1-1: الكتابة الهيروغليفيّة: وهي الشّكـــــــــل الذي عرفت به الحضارة المصريّة، وهيروغليفية كلمة من أصل إغريقي؛ «هيروس» بمعنى مقدّس، و»غلوفين» بمعنى نقش، كما أنّ أوّل التّسجيلات الهيروغليفيّة تصل إلى الألفيّة الثالثة قبل الميلاد، أي سنوات قليلة بعد ظهور الكتابة السّومريّة.

وبما أنّ الهيروغليفيّة صعبة الرّسم؛ أدّت إلى ميلاد شكل آخر من الكتابة أكثر سرعة في رسمها يتعلق الأمر بـ:

2 - 2-1: الكتابة الهيريّة : (استعملها كهنـــــــــة مصر القديمة)؛ وهي كتابة من أصل هيروغليفي (أي تصويري) لكنّها مبسّطة، أشكالها ملتصقة فيما بينها، ممّا يعني الابتعاد شيئا فشيئا عن الكتابة الهيروغليفيّة. ومنذ 650 سنة قبل الميلاد، ظهرت بالمقابل شكل ثالث من الكتابة لكنّها أكثر وضوحا وارتباطا بين رموزها إنّها:

2 - 3-1: الكتابة الدّيموطيّة: (بمعنى شعبيّة)؛ كتابـــة أكثر وضوحا لفكّ رموزها، وأكثر سرعة عند رسمها من سابقتها، حيث غدت كتابة مصر اليوميّة والعاديّة، كما أنّها لا تشبه إلى حدّ بعيد الكتابة الهيروغليفية (كتابة مصر العتيقة).

كان الدّاعـــــــــــي إلى تعلّم المصريّين القدامى للّغات أعمالهم، وعلاقاتهم الدبلوماسيّة، حيث سعوا إلى التّرجمة والتفسير، وأُعطى المترجم لقب: قائد المترجمين وهي من أعظم الوظائف حينها، توارثها ابن عن أب.

وبهذا الشّكل يتجلّى وجه آخر من أوجه تعلم لغة ثانية، لأنّ اللغة الهيرية غدت لغة التّعليم المنظّم واللغة الهيروغليفيّة لغة ثانية.

2-2: تعليم الإغريقيّة للرّومان: على الرّغم من أنّ الإغريق عُرفوا بالتّدريس المنظّم ما بين (ق 4ق.م2-ق.م)؛ غير أنّه اعتبر تعليم أحادي اللغة، لأنّهم كانوا يعتبرون باقي اللغات –عدا لغتهم- لغات بربريّة لا تستدعى تعليمها والاهتمام بها.

3 - المرحلة الثالثة: من الرّومانيّة القديمة إلى التّجدّد(تعليم اللغات الحيّة):

- وتتعلق بتعليم الرّومان اللغة الإغريقيّة (لغة الهيبة والنّفوذ)، وذلك في بحر القرن الثالث قبل الميلاد. حيث اعتبرت العائلات الأرسطوقراطيّة تعلم لغة ثانية من أولويّاتها؛ فالطفل الرّوماني يؤجّر له عبدا أو أمة إغريقيّة لتعلمه اللغة الإغريقيّة فيتعلم القراءة والكتابة.

4 - المرحلة الرابعة: اللاتينيّة من لغة ميّتة إلى لغات حيّة (من ق16م – ق 19م):

- تطوّرت الرّومانيّة إلى لاتينيّة، إلى أن أصبحت شيئا فشيئا تهيمن على روما القديمة ساهمت في انتشارها الدّيانة المسيحيّة ، فغدت معظم الأوطان الأوربيّة وشمال إفريقيا وكذا البلقان تتحدّث بها، كان ذلك أوائل القرون الميلاديّة، فأصبحت اللاتينيّة اللغة العالميّة للثّقافة، والفلسفة، والدّين والقانون والحكم والتّواصل. ثم انقسمت اللاتينيّة إلا لاتينيّتين (أواخر القرن 5 الميلادي):

أ. لاتينية كلاسيكيّة: وسمّيت أيضا باللغة العالمة (Langue Savante) اقتصر استعمالها بالكنائس، وللكتابة الأدبيّة.

ب. لاتينيّة جماهيريّة (لغة الجماهير): وسمّيت أيضا اللغة العامّة (Langue Vulgaire) أي للاستعمال اليومي بين عامّة النّاس.

ومن منطق تطوّر اللغات؛ تطوّرت اللاتينيّة إلى لهجات، ثمّ تحوّلت بدورها مع مرور الزّمن إلى لغات من قبيل : الفرنسيّة، والإيطاليّة، والاسبانيّة، والانكليزيّة،...إلخ،

واحتلت شيئا فشيئا مكانة اللاتينيّة التي تقلصت مساحة استعمالها لتصبح لغة ميّتة تعلم لمجرّد ترف فكريّ، أي باعتبارها لغة ثانية.

أما ما يخصّ طريقة تعلم اللاتينيّة لغة ثانية؛ اعتمدت فيها الحوار والتّكرار وسيلة للتّعليم.

4 - 1: المعلم Ascham وMontaigne، وLocke (ق-16 ق17):

يعتبر المعلـــــم Roger Ascham) 1515-1568)؛ أحد أكبر المثقّفين في زمانه الذي يمثّلون التّربيّة الكلاسيكيّة بانكلترا.

عرف بتعليمه للغة اللاتينيّة خاصّة للعائلات النّبيلة، حيث كان معلما للأميرة Elizabeth في الفترة الممتدّة بين (1548 و1550)، ثم غدا سكرتيرها الخاص لمّا أصبحت ملكة انكلترا.

اشتهر بعد وفاته (1570) بمؤلفه الموسوم بـ: سيّد المدرسة (The Schoolmas-ter) Le Maitre d'école الموجه لتعلم اللاتينيّة.

ويضيف Claude Germain مـــــن خلال دراسته لتطوّر تعليم اللغات، أنّ المعلم Ascham اعتمد أساليب أخرى لتعليم اللغة الثانية (اللاتينية) والمتمثّلة في:

- الترجمة المضاعفـــــــة للمبتدئين.
- إعادة تشكيل النّصّ من شعري إلى نثري.
- التّلخيص.
- التّكـــرار.
- عدم تلقين القاعـــــــدة النّحويّة.

وتستمر المرحلة الرابعــة إلى غاية ق17.

4 - 2: طريقة كومنيوس (كومنيوس والصّور؛ ق17):

• يبزغ في نهاية القرن السّادس عشر، وبداية القرن السابع عشر أكبر عالم تدريس ألا وهو كومنيوس [1] (Comenius) مؤسّس تعليميّة اللغات، كما أنّه كاتب وعالم في اللاهوت والآداب القديمة.

• ويقصد كومنيوس بالتّعليميّة أنّها فنّ التّدريس، ويتجلّى ذلك في كتابه (التّعليميّة الكبرى) Didactica-Magna) 1638) ويعرّفها على أنّها الفنّ العامّ للتّعليم في جميع المواد، ويقول كومنيوس أنّ التّعليميّة « تهدف إلى أن تجعل تعلّم اللغات سريع وفعال وممتع-» [2]، كما عرفت طريقته في التّعليم باعتمادها على الصّور.

• وعليه يمكن القول أنّ مصطلح –تعليمية- نسب لأوّل مرّة لتعليميّة اللغات، ثم اتّسعت

دائرة استعماله ليشمل تعليميّة المواد الدّراسيّة الأخرى، بالإضافة إلى مفهوم السّرعة والفعاليّة والامتاع الذي اعتبر هدفا للتّعليمية مع كومنيوس، وبقى هدفا منشودا لها إلى وقتنا الحالي.

• ويذكر Claude Germain أنّ Comenius اهتمّ في أبحاثه عن أصل اللغات، كما أنّه اعتقد بوجود قواعد لسانيّة عالميّة، وهذا (ما يسعى إليه تماما العالم الأمريكي الجنسية (Noam Chomsky) للكشف عنه، فضلا على أنّه (Comenius) يسعى إلى خلق لغة عالميّة مثاليّة، لغة مصطنعة سماها بـ: Panglottie.

• ويقول Claude Germain، أنّه من غير الانصاف ألا نذكر مدح Jean Piaget لـ Comenius حيث يقول فيه:[3]

من خلال «مفارقة تعليميّة، ومن وجهة نظر تاريخ العلوم، فإنّ هذا العالم في ما وراء الطّبيعة الذي كان يحلم بعلم كامل، ساهم من خلال كتابه –التّعليميّةّ الكبرى- وتحليلاته المتميّزة، في إنشاء علم التّدريس ونظريّته في التّعليمية تعكس نظرة التّدريس في المستقبل، ونستطيع القول أنّه من هنا ودون أي شكّ هدفه المنشود» (بياجي 1957)

• وبهذا الشّكل يمكن اعتبار Comenius أب التّعليميّة.

4 - 3: التّعليم التّقليديّ للّغات، طريقة النّحو والتّرجمة:

- استمرت نماذج تعليميّة اللّغات في التّجدّد شيئا فشيئا إلى غاية ظهور طريقة «النّحو والتّرجمة»، (غالبا ما تسمّى بالطّريقة التّقليديّة أو الكلاسيكيّة)

- اشتهرت أواخر القرن التّاسع عشر (ق19)، وعلى الرّغم من أنّها كانت مهيمنة في وقت من الأوقات، إلّا أنّها لم تعدّ تجدي نفعا في أوقات لاحقة.

- ويذكر Claude Germain أنّ1985) Besse)، يعتبر أنّ طريقة النّحو والتّرجمة:

• لم تفضي إلى كفاءات على الرّغم من السّاعات المكثّفة من الدّراسة.

• وعلى مدى ثمان أو عشر سنوات، لم توجد قدرات ولا كفاءات على مستوى الكتابة.

• اعتبار اللّغة قائمة من الكلمات.

• الجمل المقترحة في طريقة النّحو والتّرجمة؛ جمل مصطنعة وغير حقيقيّة.

• التّرجمة كلمة بكلمة لا تعكس المعنى الكامل والحقيقيّ.

• لا تعتمد على النّظريّات اللّسانيّة، والنّفسيّة، والتّربويّة.

4-4: محاولات للإصلاح (الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر):

4 - 4 - 1: الطريقة التّسلسليّة:

• جاءت الطّريقة التّسلسليّة محاولة للإصلاح ولمواجهة نقائص طريقة النّحو والتّرجمة، وذلك على يد François Gouin (1880) وهي الطّريقة الأكثر شعبيّة –حينها- لتعليم الإنكليزية لغة أجنبيّة وذلك بالولايات المتّحدة الأمريكيّة أوائل القرن العشرين، وقد اعتبر فيها الانغماس اللّغويّ أولويّة لتدريس اللّغة الأجنبيّة.

• يقول Gouin: «إنّ تعلّم اللغات بمثابة سكّة حديديّة معنويّة لتجارة العقول» (4) ذلك أنّها مرآة للعقل البشريّ، وقناة تعبر من خلالها ثقافة معيّنة.

من مبادئ الطّريقة التّسلسليّة:

- إعطاؤها الأولويّة للتّعبير الشّفوي، ويليـــــــــــــــــــه التّعبير الكتابيّ.
- اعتمادها التّكرار، والتّتالي في الأحداث –لذلك سمّيت بالطريقة التّسلسليّة-
- لا مجال فيها للخـــــــــــــــــــــــــــــــــــطأ داخل القسم.
- الوسائل التّعليميّة عند Gouin هي: القاعدة النّحويّة، والقاموس. (أي أنّها لا تبتعد كثيرا عن طريقـــــــــــــــة النّحو والتّرجمة).
- تعدّ الطريقة التّسلسليّة، أقدم المقاربات الطبيعيّة.

4 - 4 - 2: الطريقة المباشرة (نهاية القرن -19 بداية القرن 20):

• تداول استعمالها وتطبيقها كلّ من الألمان والفرنسيّين، كما عرفت بالولايات المتحدة الأمريكية بأماكن محدودة. وتتأسّس على المبادئ التّالية:

- تُعلّم اللغة لغرض التّواصل (يتعلّم المتعلّم كيف يسأل، وكيف يجيب، وأن يفكر باللغة الثانية).
- الأولويّة للاستعمـــــــــــــــــــــــال الشّفوي.
- النّطق الصّحيح ضروري باللغة الثانية، فلا مجال للخطأ.
- تقديم مهارة الحديث ثمّ تنمية القـــــــــــراءة والكتابة.
- اللغة الشّفويّة المستعملـــــــــــــة، هي اللغة اليوميّة.
- يدرّب المتعلّم على استعمال جمل كاملة عكس ما كانت عليه طريقة النحو والتّرجمة التي اعتبرت اللغة قائمة من الكلمات.
- دراسة القيم الثّقافيّة للّغة الثانية من تاريخ، وجغرافيا إلخ، فالمتعلّم يفكّر باللّغة الثّانية.
- على المتعلّم أن يكون طرفا فعّالا؛ بحيث يجيب عن الأسئلة التي يطرحها المعلم، وأن

يقرأ بصوت عال يسمعه زملاؤه.

4 - 4 - 3: فاعليّة الطريقة المباشرة كما بيّنها Claude Germain:

- لقد أظهرت الطّريقة المباشرة بعض التّفوّق والنّجاح خاصّة بالمدارس الخاصّة، فهي صعبة التّكيّف في المدارس العامّة، إذ على المدرّسين التّحدّث باللّغة الأجنبيّة كتحدّثهم باللّغة الأمّ.
- كي تكون ذات كفاءة، لابدّ أن تعلم اللّغة الثّانية بمقدار زمنيّ مماثل للمقدار الزّمني الذي تدرّس بـــــــــه اللّغة الأولى.
- غير مؤسّسة على منهجيّة واضحة، بل مؤسّسة على خلفيّات ومبادئ عفويّة حدسيّة.
- ترفض تماما التّرجمة وسيلة للتّعلّم.

تساهم في نشر وتأسيس بعض المبادئ والتّقنيات البيداغوجيّة:

- سؤال- جواب شفـــــــــويّ.
- الوسيلة التّعليميّة –الصّورة.
- اعتمادها النّصوص السّرديّة.

3 - المرحلة الخامسة: القرن العشرون(الحقبة العلميّة):

5 - 1: التّيار التّكاملي: ويضمّ الطّرائق التي تركّز على طبيعة اللغة وعلى التّعلّم، وهو نتاج للتحوّل الفكريّ واللغويّ مع ظهور اللسانيّات، والعالم السويسري Ferdinand De Saussure (1857-1913) حيث نمت الحاجة –مع نهاية القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين- إلى جعل الدّراسات اللسانيّة علميّة ومستقلة عن بقيّة العلوم الأخرى في الوقت نفسه(5)ممّا أدّى إلى ظهور طرائق حديثة في تعليميّة اللغات.

5 - 1 - 1: الطّريقة السّمعيّة الشّفويّة (بأمريكا):

ظهرت إبّان الحرب العالميّة الثانية بعد طريقة الجيش، التي جاءت تلبية لحاجة الجيش لتعلّم لغة العدوّ وبأسرع وقت ممكن، ممّا أدّى بهم إلى استدعاء لسانيّين للقيام بالمهمّة، ومن هؤلاء اللسانيّين يذكر Leonard Bloomfield لكنّها لم تدم سوى سنتين، فكانت سببا غير مباشر في نشأة الطريقة السّمعيّة الشّفويّة. انتشرت بالمدارس وبين عامّة النّاس، حيث ساهم في انتشارها روّاد اللسانيّات التّطبيقيّة أمثال Robert Lado، وCharle Fries، وBrooks، وPolitzer وغيرهم.

5 - 1 - 2: طريقة (SGAV) (البنويّة الشّاملة السّمعيّة البصريّة):

• بعد أن أصبحت اللغة الانكليزيّة أثناء (ح. ع. 2) لغة التّواصل العالميّ، أضحى وضع اللغة الفرنسيّة في تدهور كبير، فعمد وزير التّربية الفرنسيّ إلى إنشاء بحث تكرّس

الاشتغال على المصطلح الفرنسيّ، رغبة منه في جعل الفرنسيّة لغة التّعامل مع دول العالم.

• في هذه الأثناء وخلال الخمسينات من القرن الماضي، وضع petar Guberina من جامعة الصّوتيّات بزاغراب (يوغسلافيا سابقا) القواعد النّظريّة لطريقة (SGAV) ثمّ انضمّ إليه Paul Rivenc من المدرسة العاديّة العالميّة (Saint- Clou) بفرنسا للتّفصيل في مبادئ تطبيق الطريقة البيداغوجيّة لـ (SGAV).

• وفي 1960 التحق بهما (Raymond Renard) من الجامعة الدّوليّة بـ (Mous) ببلجيكا.

• أوّل درس تمّ اعداده حسب منهجيّة (SGAV) سنة 1962 واعتمد باسم طريقة ((VIF Voix et images de France)) حيث تمّ تطبيقها على أطفال من 08 سنوات إلى 11 سنة (مجلة Bonjour line-1963) وشيئـــــا فشيئا وسّعت لتشمل لغات أخرى كمن قبيل: الانكليزيّة، الألمانيّة، الاسبانيّة، الرّوسيّة، الايطاليّة والصّينية واليابانيّة...إلخ، كما سمّيت (VIF) أيضا بطريقة (Zagreb) (Saint-Clou)

5 - 1 - 3: المقاربات التكاملية:

5 - 1-3-1: التكاملية لـ (Nemni):

- اشتهرت ببريطانيا مع زعيمها (Nemni)، وذلك في بداية السّبعينات.
- ساهم الإنتاج والتّجريب على الوسائل البيداغوجيّة في التّطوير التّدريجيّ لمبادئ المقاربة.

5 - 1 - 3 - 2: المنهاج متعدّد الأبعاد:

سنة 1985؛ طالب أعضاء الجمعيّة الكنديّـــــة لأستاذ اللغة الثانية (ACPLS) (Association Canadienne des Professeurs de Langues Secondes) القيام بدراسة موسّعة تشمل الإقليم الكندي، تهدف إلى تفحّص وضعيّة تعلم الفرنسيّة لغة ثانية في الوسط التّعليميّ المنظم، والقيام بالتّوصيّات اللازمة إذ اقتضى الأمر. في هذه الأثناء؛ أُستدعى H. H Stern للتّوسّع في القواعد النّظريّة لـ: المنهج متعدد الأبعاد الذي طوّره في بحر الثّمانينات من القرن العشرين وتابع دراسته Raymond Le Blanc بعد وفاة Stern.

5 - 2: التّيّار اللسانيّ: (طرائق مستوحاة من تصوّر لطبيعة اللغة، وتتمركز على التّعلّم):

5 - 2 - 1: الطريقة الشّفويّة أو السّياقيّة:

ترجع أصول الطريقة الشّفويّة أو السّياقيّة إلى لسانيّين تطبيقيّين لسنوات 1920-1930 وبصفة خاصّة يذكر Harold Palmer و A.S Horndy (هذا الأخير تأثّر

بالأعمال التي قام بها اللسانيّ Otto Jespersen، وعالم الصّوتيّات البريطاني Daniel Jones، وكذا تأثره بالطريقة المباشرة).

ولا تزال الطريقة السّياقيّة البريطانيّة تستعمل في أيّامنا في بعض الأوساط المدرسيّة، خاصّة لتعليم الانكليزيّة لغة ثانية –على حدّ قول Claude Germain-

5 - 2 - 2: المقاربة التّواصليّة:

جاءت متزامنة مع ظهور اللسانيّات الشّومسكيّة (Chomskyenne) –التّوليديّة التّحويليّة- بالولايات المتّحدة الأمريكيّة.

ويشير Claude Germain إلى أنّ اللسانيّات الشّومسكيّة ليست مصدرا للمقاربة التواصليّة، لأنّ مؤيّدي التّوجّه التوليديّ التّحويليّ، يعتقدون أنّ اللغة ليست أداة للتّواصل، ولكن وسيلة للتّعبير عن الفكر (لهذا الشأن يسمّى أيضا بالتوجّه الذهني)، كما أنّ التوجّه التّوليديّ التّحويليّ لم يكن موجّها مباشرة لتعليم اللّغات. ويخلص الكاتب في نهاية حديثه عن المقاربة التواصليّة إلى أنّه:

ليس من السّهل لتعليم لغة ثانية الحصول على وثائق أصليّة، وخاصّة عند تعليم لغة ثانية في وسط لا يتكلّمها، ولا يكفي الرّجوع لوثائق أصليّة لتطوير بيداغوجيّة حقيقيّة للأصالة.

5 - 3: التيار النّفسيّ: ويضمّ الطرائق والمقاربات التي تتمركز على التعلّم:

5 - 3 - 1: الطرائق التي تركز على شروط التعلم:

5 - 3 - 1-1: الطريقة المجتمعة: وتسمى أيضا بطريقة (Curran) نسبة إلى رائدها الأمريكي (Curran) فالطريقة موجّهة لمتعلم راشد، وتسعى إلى جعل معلم اللغة الثانية مرشد لساني، يساعد المتعلم على تجاوز مشاعر الاحباط عند تقديمه للإجابة الخاطئة، ويحاول توجيهها إلى طاقات إيجابيّة لمساره التعليمي للغة الثانية.

تهدف الطريقة المجتمعة إلى تمكين المتعلّمين من استعمال اللغة الثانية باعتبارها وسيلة للتّفاعل الاجتماعي، أي التّمكّن من التّواصل باللغة الثانية كالمتكلّمين العاديّين، وأن يتعلم المتعلّـــــــم كيف يتعلم ويصبح شيئا فشيئا مسؤولا عن تعلمه (استقلاليّة المتعلم، أو التّعلم الذّاتيّ).

- كما وضع (Curran) ستّ عناصر رآها مهمّة لتفعيل تعلم مريح للغة ثانية وهي:

- على المتعلم إبلاغ غيره بما يرغب في التواصل به ولكن بلغته الأولى، للتأكد من فهمهم فيضمن بذلك إحساسه بالأمن تجاههم إذا مـــــــــا حدّثهم باللغة الثانية.
- إثبات الذات؛ أن تتاح للمتعلم مجالات لإثبات الذّات ودمجه بسرعة في التعلم.

- الانتباه المستمـــــــــــــــرّ.
- التأمل في اللغة وفي مسار التّعلم.
- دمج وسائـــــل تعليميّة جديدة.
- تمييزه بين العناصر المتعلمة من اللغة الثانية، ومعرفة العلاقات بينهم.

كما يعتبر (Curran)؛ أنّ تعلّم لغة ثانية يفرض تحوّلا في الذّات، وتحوّلا كاملا في الشّخصيّة عكس ما نعتقد عامّة، ولا نعني بذلك العناصر الثقافيّة فقط، ولكن المظاهر العاطفيّة، والوجدانيّة أيضا كما يعتبر أنّ تعلم لغة ثانية قرار والتزام شخصيّ.

5 - 3 - 1 - 2: طريقة الصّمت:

وهي الطريقة المفضّلة لدى Cable Gattegno (متوفى سنة 1988)، وتسعى إلى تعويد المتعلم على استعمال اللغة باعتبارها وسيلة للتّعبير عن الأفكار، والمشاعر والأحاسيس.

ويؤكّد (Gattegno) أنّه: «على المتعلّم أن يتعلّم كيف يتعلّم لغة ثانية (التّعلّم الذّاتيّ). فتعلّم لغة ثانية قائم على مسار المتعلّم في تطوير شخصيّته، ولاسيّما استقلاليّته، وتحمّله المسؤوليّة(6)، كما يشجّع (Gattegno) المتعلم على أن يعتبر من نشاطه في التّعلم، ومن أخطائه انطلاقا من نقده الخاصّ لذاته الذي يطوّره خلال تعلمه.

ملحوظة: من مبادئ طريقة الصمت، التّمكّن من قواعد اللغة.

5 - 3 - 3-1: المقاربة الطبيعية:

جاءت فكرة اقتراح –طريقة طبيعيّة- نتيجة لخبرة Terrell Tracy أستاذ اللغة الاسبانيّة بجامعة كاليفورنيا، حيث عرض تصوّره لتعليم اللغات سنة 1977، وذلك في مقالة كتبها بالمجلة الأمريكيّة (Modern Language Journal) مجلة اللغة الحديثة، ومنذ هذا التاريخ العديد من الخبرات، والتّجارب لطريقته (الطبيعية) طبّقت على مختلف المستويات التّعليميّة والعديد من اللغات.

5 - 3 - 1 - 4: طريقة الحركة:

صمّمت طريقة الحركة سنة 1965 من طرف James Asher أستاذ علم النّفس بجامعة (San Jose State) بكاليفورنيا (Californie)، ويطلق عليها أحيانا المقاربة المتمحورة على الفهم، لأنّها تولى اهتماما كبيرا للفهم الشّفويّ على الطرائق الأخرى -كالطريقة الطّبيعيّة- أين يجبر المتعلم على الحديث باللغة الثانية منذ الدّرس الأوّل.

ويمكن اعتبار طريقة الصمت امتدادا لطريقة English Throngh Actions

لـ : Harold Palmer وDorothy Palmer (سنة 1925)، كما لها الكثير من التّشابه مع رؤى Krashen (المقاربة الطبيعيّة)، من حيث أنّها تولى أهميّة للفهم، مع اجتناب وجود القلق...إلخ.

5 - 3 - 5-1: الطريقة الايحائيّة:

طبّق علم الإيحاء والدّراسات الإيحائيّة في الميدان التّعليميّ –أو البيداغوجي- مع Georgi Lazanov من صوفيا (بلغاريا سنة 1965)، و يتجلى غموض فكرة الطريقة الايحائيّة في أنّه بالإمكان تعلم لغة ثانية أسرع على الأقلّ بـ 25 مرّة ممّا نقوم به في الطريقة العاديّة، لهذا الشأن يذكر Lazanov أنّه يكفي أن نهدم الحاجز النّفسيّ الذي يعرقل عمليّة التّعلّم كعدم الثقة بالنفس، أو الخوف من عدم النّجاح في عمليّة التّعلم وبذلك يخفق الفرد، وفي كلّ الحالات يبدي المتعلم مخرجات لغويّة متدنّية مقارنة مع ما يجب أن يحقّقه إذا تخطّى حاجزه النّفسيّ، إذ السّرّ يكمن في استثمار كلّ طاقاتنا الإنسانيّة.

ويمكن أن نقدّر أنّنا نستعمل عادة في تعلّم لغة ثانية سوى 4% من قدراتنا العقليّة، وبغية الاستعمال الجيّد لقدراتنا العقليّة (يعتقد Lazanov) أنّه علينا «الإيحاء لأنفسنا.»

ونخلص إلى أنّ الدّراسات الإيحائيّة تهدف إلى تحرير المتعلّم من خوفه خشية الوقوع في الإخفاق ورفع الحواجز التي تعرقل عمليّة التّعلّم.

5 - 3 - 6-1: المقاربة المتمحورة على الفهم:

تتميّز المقاربة المتمحورة على الفهم؛ باستحضارها لأنواع متعدّدة من النّماذج لتعليميّة الفهم، إلى درجة التأكّد من مرحلة الفصل بين الفهم الشّفويّ والانتاج الشّفويّ، ولو أنّ الأمر تعلّق بمقاربة غير منتشرة (يقول Claude Germain- إلا أنّنا نعتقد بفائدة تأخّرنا قليلا آخذين بعين الاعتبار المنفعة التي تقدّمها لنا المجموعة الجديدة من الاقتراحات، والمبادئ المنظمة قصد تيسير تعلم لغة ثانية.[7]

أمّا الأعضاء المعاصرين والمشهورين المؤسّسين للمقاربة المتمحورة حول الفهم James Asher (أسّس مبادئ مقاربته –طريقة الحركة- سنة 1965) بالإضافة إلى -ste phen D. Krashen، (طوّر هذا الأخير بالتّعاون مع Tracy Terre المقاربة الطّبيعيّة).و-Va lerian Postovsky المتوفى سنة 1977 حيث قارب من الانتهاء من بحوثه حول موضوع الدّفاع عن اللغة مع بداية السّبعينات بجامعة Monterey بـ: Californie).

وفي الإطار التّطبيقيّ وعلى درجة من الأهميّة (يذكر Claude Germain)، أنّ

جامعة Ottawa أعادت صياغة مقتضيـــــات اللغة الثانية لطلابها بمصطلح: المهارات المتفتّحة، وعمدت إلى تسطير قرابة ستين درسا سنويّا متمحورا حول الفهم.
ويمكن اختصار الطرائق، والمقاربات في الجدول التالي:

ثالثا: تصنيف الطّرائق والمقاربـــــات في جداول:

1 - الجدول الأول: الطريقة (أو المقاربة) وطبيعة اللغة:

المقاربة /الطريقة	مفهوم اللغة
السّمعيّة الشفويّة التكامليّة SGAV الإيحائيّة بنية لسانية: شكلية	بنية لسانية: شكلية معجـم +بنية معجم + نطق معجم + نطق
التواصليّة الطّبيعيّة الحركة الفهم	تداوليّة دلاليّة
عن طريق الصّمت	تعبيريّة
المجتمعة	تفاعليّة

طبيعة الثّقافة:

الثّقافة في كل الطرائق والمقاربات تعكسها اللغة الثانية المتعلّمة، إلا أنّه في الطريقة الإيحائية فالثقافة تعكســـــها الفنون الجميلة التي من خلالها تتعلم اللغات الثانية: الأدب، والرسم، والموسيقى إلخ.

2 - الجدول الثاني: الطريقة (أو المقاربة) وطبيعة علم النّفس:

المقاربة /الطريقة	تصوّر علم النّفس
السمعية الشفوية	سلوكي
التكاملية	سلوكي
SGAV	الجشطالتية
التواصلية عن طريق الفهم	معرفي

الطبيعية	المعلم
عن طريق الحركة	وظيفي عصبي
الصمت المجتمعة	تطوري
الايحائية	إيحائي

رابعا: كلمة لا بد منها:

من خلال المسح التاريخي لتعلم اللغات(5000 سنة من التاريخ)الذي قام به الكندي Claude Germain؛ يلاحظ جليّا وجود ثغرة في التّفكير اللسانيّ عبر الحضارات الإنسانيّة، يفسّره تغييب حضارات شهد لها العالم بتراثها العريق، الذي تجذّر في صلب الحضارة الإنسانيّة كالحضارة الصّينيّة واليابانيّة والحضارة الهنديّة التي اشتهرت بالدّراسات الصّوتيّة مع العالم الكبير الهندي Panini، وذلك في بحر القرنين الرّابع والخامس قبل الميلاد.

ومن يطّلع على كتاب الباحث اللساني –هياكاوا- (Hayakawa) وعنوانه (اللسانيّات الشّرقيّة Linguistique Orientale)؛ سيكتشف أنّه توجد حقائق كثيرة أتت بها الدّراسات الشّرقيّة حول الظاهرة اللغوية وتعليم اللغات.[8]

كما تمّ تغييب ذكر الحضارة العربيّة بما يحدث القطيعة في تسلسل التاريخ الإنساني لتعليم اللغات وليس التّفكير اللسانيّ العربيّ وحده «المنسيّ في هذا المقام بل إن العربيّة ذاتها باعتبارها نمطا لغويّا، لا تجد حظّها عادة عند استعراض اللسانيّين لنماذج اللغات في العصر الحديث-»[9]، ويشير الدكتور عبد السّلام المسدي إلى أنّ للعنصر الدّينيّ أثره في الغفلة عن التّراث اللغويّ العربيّ(10) ذلك أنّ قضايا اللغة كانت ملازمة لقضايا المعتقد في كل الحضارات الإنسانيّة التي عُرفت بكتاب سماويّ.[11]

وعلى الرّغم من كل ذلك؛ فتعليم اللغة العربيّة فرض وجوده بالقوّة في الكتاب وهو يطرح تعليم اللّاتينيّة لغة ثانية حيث مثّل لتعليمها وكيفية تعلّمهم لها بالمسلمين وهم يحفظون كتاب الله.

يقول Claude Germain: -«في هذه الفترة التي كان يحفظ فيها التّلاميذ الزّبور عن ظهر قلب (فالحفظ عن ظهر قلب هو المعرفة...) يعرضونها وينشدونها وهم يؤرجحون أجسامهم على نحو اليهود والمسلمين وهم يحفظون التوراة والقرآن-»[12]

أضف إلى ذلك؛ وهو يعرض لطريقة تعليم اللّاتينيّة يطرح مسألة تحريف

الإنجيل –الكتاب المقدس- إذ يقول: -«كي يعوّد السّيّد (Le Maitre) تلاميذه تعلم اللغة، يقترح عليهم نصوصا صغيرة أو أمثالا للحفظ عن ظهر قلب، وهي نصوص مستوحاة من الانجيل مع التّعديل في بعض الآيات-»[13]
(وشهد شاهد من أهلهم على أنّ المسيحيّين محرّفون للكتاب المقدّس –الإنجيل-)

خامسا، الخاتمـــــة:

وبهذا نكون قد تعرّضنا لأهمّ الطرائق والمقاربات لتعليم اللغات من خلال 5000 سنة من التّاريخ كما بيّنها Claude Germain –في الكتاب السابق ذكره- ويبقى هاجس البحث عن الطريقة –أو المقاربة- المثلى التي تكفل تحقيق النّجاعة في تعليميّة اللغات، هذا من شأنه أن يدفع الباحثين في مجال اللسانيّات التّطبيقيّة، وتعليميّة اللغات –اللغة العربيّة على وجه خاص- للبذل، والبحث المستمر عن سبل رائدة تكفل تحقيق الرّقيّ للغة العربيّة، وإعطائها المكانة التي تستحقّها بين اللغات.

وتبقى التّرجمة الميثاق اللغويّ الذي ينير الدّروب ويوضّح السّبل ويبسط الآفاق بين الأمم فتشيع بذلك الحريّـــــــــة الفكريّة وتنتصر المعارف الحديثة لتبقى زمام المبادرة التّاريخيّة للعالمين العاملين «وقل اعملوا.»[14]

الإحـــــالات:

(*)اسم المؤلف وعنوان الكتاب كاملا:
Evolution de l'enseignement des langues : 5000 ans d'histoire, Claude Germain, Clé 1993, Paris, France

(1) كومنيوس (Comenius) الاسم اللاتيني مـــــن الأصل التشيكي Jean Amos Komensky 1592-1670)) ينظر Claude Germain المرجع السّابق، ص: 85. هو أبو التّربية الحديثة ولد في 28 آذار 1592، وتوفي سنة 1670. تعلّم ومارس التّعليم والتّبشير في الكنيسة البروتستانتيّة، وكتب أكثر من 154 كتابا. كرّمه التّشيكيّون، والسّلوفاكيّون، وحدّدوا 28 آذار ذكرى ميلاده موعدا لعيد المعلّم، وطبعت تشيكيا صورته على ورقة العشرين كورونا. ينظر: جان عبد الله توما، التعلم والتعليم–مدارس وطرائق- المؤسسة الحديثة للكتاب –لبنان، ط1،2011، ص: 71.

(2) C. Germain- المرجع نفسه ص85.«..Vise à rendre l'apprentissage des langues «rapide, efficace, et agréable

(3) المرجع نفسه، ص 114.النّصّ الأصليّ لـ Gouin:
Par un paradoxe extrêmement instructif du point de vue de l'histoire des sciences, »

ce métaphysicien qui rêvait d'une science intégrale a précisément contribué, en écrivant une grande didactique et ses traités spéciaux, à crée une science de l'éducation et une théorie de la didactique envisagées à titre de disciplines autonomes.
« On peut dire que c'est là sans doute son principale titre de gloire

(4) المرجع السّابق، ص114. النّصّ الأصليّ لـ Gouin:

L'apprentissage des langues est vu comme un chemin de fer moral pour le com-»
« merce des esprits

(5) مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيـــــات الحديثة، مدخل دار طلاس للدراسات والترجمة والنشـــر، ط1 ،1988، ص: 63.

(6) المرجع السابق، ص233. C. Germain

L'apprenant doit apprendre à apprendre une L2. De plus, l'apprentissage d'une L2 »
est censé contribuer au processus de développement de la personne, notamment
« l'indépendance, l'autonomie, et responsabilité

(7) المرجع السّابق، ص: 283.

Nous avons quand même cru utile de nous y attarder quelque peu, compte tenu »
de l'intérêt que présente pour nous tout nouvel ensemble de propositions ou de
« principes organisés en vue de facilité l'apprentissage d'une L2

(8) مازن الوعر، دراســـــات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1989، ص: 20.

(9) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ص22. نقلا عن:

Le langage, sous la direction, d'André Martinet, Encyclopédie de la péiade, Gallimard 1968.

(10) ينظر المرجع نفسه، ص: 23.

Georges Mounin. Histoire de la linguistique des origines au 20éme siècle, John (11)
Lyons : Introduction to theorical linguistics. Combridge University press, 1968.
Traduction Française : Linguistique générale, introduction à la linguistique théorique, paris, Larousse, 1970

(12) المرجع السابق، ص55. C. Germain، A cette époque, savoir par cœur, c'est savoir»
Ils les récitent et les chantent, tout en balançant leur corps (à la manière des juifs et
« des musulmans) qui apprennent la thora ou le coran

(13) المرجع نفسه، ص: 55.

pour habituer ses élèves à parler latin, le maitre leur propose des petites textes »

ou des proverbes à apprendre par cœur, textes et proverbes tirés d'auteurs latins « qui sont cependant –christianisés- en modifiant certains versets

(14) الآية 105 من سورة التّوبة.

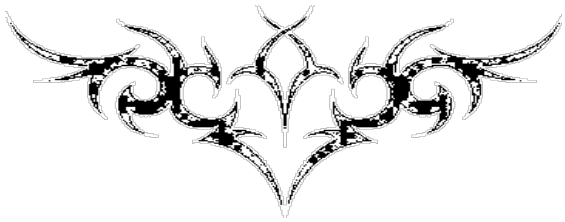

مقاربة لترجمة دلالات الإشهار التلفزيوني مع تحليل سيميولوجي لنموذج ومضة إشهارية

د. عبدالنور بوصابة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.

ملخّـــــص

نحاول في هذا البحث التعرّف على المقاربة السيميائية لتحليل الإشهار التلفزيوني، بمعنى تقديم الخطة أو الطريقة العملية لترجمة وقراءة الومضة الإشهارية التلفزيونية، ونسميها بالمقاربة نظرا لكونها محاولة للقراءة، وليست بمنهج دقيق يقدم تحليلاً ثابتاً، بل يمكن لكل باحث أن يقرأ المحتويات الإشهارية بقدراته الخاصة، ولكن يمكن لنا أن نتفق على مقاربة منهجية لكي نوفي القراءة السيميائية حقها.

الكلمات المفتاحية: المقاربة السيميائيـــــــة- مقاربة التحليل السيميولوجي- قراءة الإشهار التلفزيوني- تحليل الومضة الإشهارية

Résumé

On essaie dans cette étude de définir l'approche sémiologique pour l'analyse de la publicité télévisée, d'un autre sens présenter le plan ou la grille d'analyse de spot publicitaire télévisé, et nous l'appelons approche car il s'agit d'un essai pour lire les messages publicitaires, et non une méthode bien précise qui donne une analyse fixe, au contraire chaque chercheur peut expliquer les contenus publicitaires selon ses capacités et connaissances personnelles, en revanche on peut se mettre d'accord sur une approche méthodologique pour une lecture sémiologique riche et convaincante.

مقدمـــــة:

أصبح الإشهار في عصرنا الحالي ملاذاً للمؤسسات الاقتصادية، باختلاف تخصصاتها وتوجهاتها، وبفضله يمكن لها أن تضمن استمراريتها وبقائها، وصار بذلك مادة أساسية لوسائل الإعلام المختلفة، ومنها التلفزيون لتعلن عن منتجات تلك المؤسسات، ولتضمن أيضا بقائها، وإذا كان الإشهار صناعة اقتصادية فهو أيضا إنتاج جمالي فني، يسعى للإقناع والحث على شراء المنتجات، باستعمال طرق وأساليب فنية، تحتاج الوقوف عندها لتحليلها وفهمها،ودراسة طرق توظيفها، فكيف يمكن لنا فهم وتحليل الرسائل الإشهارية التلفزيونية وفق المنهج السيميائي.

1 - مفهوم الإشهار التلفزيوني:

يُعرف التلفزيون اليوم بأنّه الوسيلة الأكثر قدرة على تبليغ الرسالة الإشهارية إلى عدد أكبر من المستهلكين، ولو عدنا إلى تاريخ الإشهار التلفزيوني فنجد أنّه ظهر لأول مرة بفرنسا في أكتوبر 1968[1] ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القنوات التلفزيونية تقدم بعض الومضات الإشهارية خلال فترات قصيرة، وإلى غاية سنة 1983، كان احتكار الدولة للإشهار التلفزيوني واضحًا بفرنسا، ولو تحدثنا عن الجزائر فنجد أن احتكار السلطة للإشهار استمر طويلاً، فلم تعط الحرية للخواص لإنتاج الأفلام الإشهارية إلا بعد فترة التعددية وتعديل قانون الإعلام سنة 1990.

وكان الإشهار التلفزيوني في عهد الاحتكار أقرب أن يكون رسائل توجيهية ونصائح تقدمها الحكومة في شكل إعلانات وبلاغات تهم المصلحة العامة للمواطنين، لتبدأ المؤسسات الخاصة في تقديم الخدمات والسلع عبر أفلام إشهارية تنافسية، ويصبح الإشهار يعرف انتشاراً واسعًا مع احتدام المنافسة، ودخول الجزائر اقتصاد السوق وما أملاه من شروط الجودة والنوعية وحرية الاختيار لدى المستهلك، وأضفت التطورات التكنولوجية الحديثة العديد من التغييرات على الإشهار التلفزيوني، فمع بروز التلفزيون الرقمي، تحسنت خدمات الإشهار لتصبح الصورة أكثر وضوحًا وصفاء والصوت أكثر نقاء، ولعلّ من أبرز التطورات الحاصلة نجد كسر الترابط الزمني العضوي بين وقت البث التلفزيوني، ووقت المشاهدة، فأصبحت حرية الخيار واسعة لدى المشاهد بواسطة نظام « الفيديو تحت الطلب» الذي يسمح له من اختيار المضامين المفضلة لديه، وتوقيت المشاهدة الذي يرغب فيه، عبر عدد كبير من القنوات التلفزيونية.[2]

وأصبح الإبداع في الإشهار التلفزيوني واقعة اجتماعية وثقافية، حيث يتم